



العلاقات الاجتماعية في السنة النبوية

مُحَمَّدٌ خَيْرُ رِضْوَانِ يُوسُفَ

العلاقات الاجتماعية
في السنة النبوية

محمد خير رمضان يوسف

١٤٤٥ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي جمعنا على الإسلام، وهدانا لسنة نبينا خير الأنام، عليه من الله المزيد من الصلاة والسلام. وبعد:

فقد قصدت من العلاقات الاجتماعية ما كان من صلة بين اثنين أو أكثر، في مجالات شتى، يترتب عليها علاقة أو هدف اجتماعي. أما ما كان من علاقة بين أفراد ومؤسسات، وبين دول ودول، فهي عامة، ولا علاقة للكتاب بها.

والعلاقات الاجتماعية في الإسلام رائعة، ذات أهداف سامية، وغاية نبيلة، وكلها تندرج تحت مفهوم نفع المسلمين، وتوجيههم إلى ما هو خير وأفضل.

وقد استخرجت معانيها من الأحاديث الشريفة، وقدمت لها بكلمات موجزة، مبيِّناً صلتها بموضوع الكتاب، كما أوردت شروحاً وتعليقات عليها من مصادرها، في اختصار كذلك. وأبرزت صوراً من هذه العلاقات، بذكر أحاديث تدلُّ على ذلك، ولم أتوسَّع فيها، ولم أرْدُ بها دراسة، بل أردت التركيز على تنوعها، وتوجيهها، وبيان شمولها، مبرزاً بذلك سمات لهذا الفن في السنة النبوية.

وبلغت (٤٢) حديثاً، حسنةً وصحيحةً، موزعة على موضوعاتها، ومنسقة نوع تنسيق.

والحمد لله الذي هداني لهذا، والشكر له وحده، والصلاة والسلام على نبيه وآله.

محمد خير يوسف

إستانبول

٨ ذي الحجة ١٤٤٥ هـ، ٢٠٢٤ م

(١)

مخالطة الناس

المسلم الذي يخالط الناس يسمى في عصرنا (اجتماعي)، فإذا صبر على أذاهم، من إساءة وتعسف وتجريح ومكروه يصيبه، خيرٌ ممن لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم؛ لأن الأصل عند المسلمين هو اجتماعهم وتعاونهم على الخير، ونفع بعضهم بعضاً، ومثل هذه الاجتماعات لا تخلو من كلمات غير مرغوبة، وربما مواقف صادمة... فيكسب بصره أجرًا أكبر، وثوابًا أعظم. ولهذا قال رسول الله ﷺ:

"المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خيرٌ من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم".

سنن الترمذي (٤ / ٦٦٣) مسند أحمد (٩ / ٦٤) قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وكذا قال في السلسلة الصحيحة (٩٣٩).

قال المناوي رحمه الله: ... وكن فيما بينهم سميحاً لحفهم، أصمّ عن باطلهم، نطوقاً بحاسنهم، صموتاً عن مساوئهم.

وقال الذهبي في الزهد: مخالطة الناس إذا كانت شرعية فهي من العبادة.. وذكر الإمام الغزالي أن الترجيح بين العزلة والمخالطة يختلف باختلاف الناس، فقد تكون العزلة لشخص أفضل، والمخالطة لآخر أفضل... فيض القدير (٦ / ٢٥٥) باختصار.

(٢)

المسؤولية

وأصل العلاقات الاجتماعية في الإسلام مبنية على المسؤولية، فإذا قام كلُّ بمسؤولياته كما ينبغي، تضامن المجتمع، وتآلف، وسار على الهدى الصحيح، وساد بذلك التعامل الطيب، وانتشر الأمان، وأُديت الحقوق.

عن عبدالله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

"كلُّكم راعٍ فمسؤولٌ عن رعيته، فالأميرُ الذي على الناسِ راعٍ وهو مسؤولٌ عنهم، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيته وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلها ووَلَدِه وهي مسؤولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ على مالِ سيده وهو مسؤولٌ عنه، ألا فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته".

صحيح البخاري (٣/ ١٥٠)، صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٩)، واللفظ للأول.

قال ابن بطال رحمه الله: فينبغي لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر في أمر الأمة، فإذا قلّدوا غيرَ أهل الدين، واستعملوا مَنْ يعينهم على الجور والظلم، فقد ضيّعوا الأمانة التي فرض الله عليهم.

وقال الإمام النووي: الراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيءٌ فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه، في دينه ودنياه ومتعلقاته.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٣٨)، شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢١٣).

(٣)

المجتمع الإسلامي

والمحافظة على سلامة المجتمع الإسلامي من الآفات، وتأكيد العلاقة الاجتماعية الطيبة بين أفرادها، لا تكون إلا بالاستقامة، والالتزام بالآداب الإسلامية، والأخلاق الحسنة، والبعد عن الأذى والطيش والسفه.

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال:

"أتدرون ما المفلس؟"

قالوا: المفلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال: "إنَّ المفلسَ من أمتي يأتي يومَ القيامةِ بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنَ فُنيَتْ حسناته قبلَ أن يُقضى ما عليه، أُخذَ من خطاياهم فطُرحتْ عليه، ثم طُرِحَ في النار".

صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧).

قال القرطبي رحمه الله: هذا أحق باسم المفلس، إذ تؤخذ منه أعماله التي تعب في تصحيحها بشروطها حتى قُبلت منه، فلما كان وقت فقره إليها أخذت منه، ثم طُرِحَ في النار! فلا إفلاس أعظم من هذا، ولا أخسر صفقة ممن هذه حاله، ففيه ما يدلُّ على وجوب السعي في التخلص من حقوق الناس في الدنيا بكل ممكن، والاجتهاد في ذلك، فإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً، فالإكثار من الأعمال الصالحة، فلعله بعد أخذ ما عليه تبقى له بقية راجحة، والمرجو من كرم الكريم لمن صحت في الأداء نيته، وعجزت عن ذلك قدرته، أن يُرضي الله عنه خصومه، فيغفر للمطالب والمطلوب، ويوصلهم إلى أفضل محبوب.

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٦٣).

(٤)

الأصدقاء

واختيار الصديق ليس سهلاً، فله تأثير مهما كان شأنه، فإنه يتعامل معه، ويثق به، ويدخله بيته، ويطلعه على أسراره.. وعلاقته به تكون من أفضل ما يكون.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

"المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل".

مسند أحمد (١٣ / ٣٩٨)، سنن أبي داود (٧ / ٢٠٤) وإسنادهما جيد، كما قال الشيخ شعيب، سنن الترمذي (٤ / ٥٨٩) وقال: حسن غريب. وحسنه في صحيح الجامع (٣٥٤٥)، وفي السلسلة الصحيحة (٩٢٧).

والخليل هو الصاحب والصديق.

والمقصود بالدين: العادة، والطريقة، والسيرة.

ومعناه: ليتأمل أحدكم بعين بصيرته إلى امرئ يريد صداقته، فمن رضي دينه وحُلقه صادقاً، وإلا تجنّب، فإن الطباع سراقية، والصحبة مؤثرة، في إصلاح الحال وإفساده. ينظر فيض القدير (٤ / ٥٢)، عون المعبود ١٣ / ١٢٣٢، تحفة الأحوزي (٧ / ٤٢).

(٥)

والقلوب المتشابهة تتقارب، والمختلفة تتباعد، فيجتمع من تشابه من الأصدقاء بأفكارهم وأهوائهم وعاداتهم.. ويُعرف المرء بصديقه إن لم يُعرف بنفسه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ النبي ﷺ يقول:

"الأرواحُ جنودٌ مجنّدة، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ".

صحيح البخاري (٤ / ١٣٤)، صحيح مسلم (٤ / ٢٠٣١) من رواية أبي هريرة.

جنود مجنّدة: جموع مجتمعة، أو أنواع مختلفة.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا التعارف لأمرٍ جعله الله فيها وجبلها عليه، وأشبهُ ما فيه أن يكون تعارفها موافقةً صفاتها التي خلقت عليها، وتشابها في شيمها التي خلقت بها. إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨ / ١١٨).

(٦)

صحابة النبي ﷺ

وقد تربي أصحاب رسول الله ﷺ على يديه، فكان يحبهم، ويأنس بهم، ويدعو لهم، ويسأل عن أحوالهم، ويذكر كلاً بأحسن صفاته، ويستعملهم فيما ينفع الأمة... وعلاقته بهم جميعاً طيبة.. وكان يقول عليه الصلاة والسلام:

"لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدِهِم، ولا نصيفه".

صحيح البخاري (٨ / ٥) من رواية أبي سعيد الخدري، واللفظ له، صحيح مسلم (٤ / ١٩٦٧) من رواية أبي هريرة.

أي: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي، مدّاً ولا نصف مدّ.

قال القاضي عياض: ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضائل الصحابة عن الجمهور من تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم، وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمائته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى} [سورة الحديد: ١٠]. هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار

والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تُنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتية من يشاء. شرح النووي على مسلم (١٦ / ٩٣).

(٧)

المساجد وصلاة الجماعة

وبيوت الله بنيت للعبادة خاصة، ولها فوائد أخرى كثيرة، ففيها يجتمع المسلمون كل يوم، وفي مناسبات عديدة. وفيها ينشأ أطفال المسلمين على التعلق بالإسلام وأهله، ويتعلمون القرآن حفظاً وتجويداً وتدبراً، ويعرفون مبادئ الإسلام وآدابه. وتلقى فيها الدروس والمحاضرات، ويتعرف المسلمون على إخوان لهم، فيتقاربون ويتآلفون، ويتواصلون ويتزاورون، وقد يتشاركون في تجارات وأسفار وشؤون أسرية وتعليمية وخيرية، بعد تعارفهم وثقة بعضهم ببعض... ولذلك ورد في القرآن والسنة الأجر الكبير على من بنى مسجداً أو شارك في بنائه.. ومن الدوافع الكبرى للحضور في المساجد هو الثواب الوارد في صلاة الجماعة.. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة".

صحيح البخاري (٦٤٥)، صحيح مسلم (٦٥٠).

والمعنى أن صلاة الواحد في جماعة يزيد ثوابها على ثواب صلاته وحده سبعا وعشرين ضعفاً، وقيل: المعنى أن صلاة الجماعة بمثابة سبع وعشرين صلاة. فيض القدير (٤ / ٢١٧).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٧) فضلاً لصلاة الجماعة هي بمثابة الدرجات التي يحصل عليها المرء بسبب حضوره إلى المسجد وأداء صلاة الجماعة فيه. (تنظر في فتح الباري ١٣٣/٢).

(٨)

صلاة الجمعة

ومن صور تجمُّع المسلمين في عباداتهم أيضاً: أيام الجُمُع. فيتجهز المسلم لهذا اليوم، ويكون نظيفاً، مراعيًا لآداب هذه الشعيرة العظيمة، حتى يتحقق الهدف منها، ويُستفاد منها. ويكون هينًا لينًا مع إخوانه المسلمين، فإن المساجد تزدهم في هذا اليوم، وقد تسبب المحاككة انزعاجًا.

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

"لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ، وَيَدْهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يَصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى".

صحيح البخاري (٨٨٣).

فلا يفرِّق بين اثنين: كناية عن التبكير، أي: عليه أن يبكر فلا يتخطى رقاب الناس، كذا قاله الكرمانى، ويقال: معناه لا يزاحم رجلين فيدخل بينهما؛ لأنه ربما ضيق عليهما، خصوصًا في شدة الحرِّ واجتماع الأنفاس.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧٥ / ٦).

(٩)

يوم العيد

ومثله يوم العيد، وهو صلاة، وزينة، وفرح.. يجمع المسلمين جميعًا، الرجال والنساء والأطفال.. عن أم عطية قالت:

كُنَّا نُؤَمِّرُ أَنْ نُخْرَجَ يَوْمَ الْعِيدِ، حَتَّى نُخْرِجَ الْبَكْرَ مِنْ خِدْرِهَا، حَتَّى نُخْرِجَ الْحَيْضَ، فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ، فَيَكْبِرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدَعَائِهِمْ، يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَطُهْرَتَهُ".

صحيح البخاري (٢٠ / ٢).

طهرته: يعني التطهر من الذنوب.

قال الخطابي وابن بطال: معنى التكبير في هذه الأيام: أن الجاهلية كانوا يذبحون لطواغيتهم، فجعلوا التكبير استشعاراً للذبح لله تعالى، حتى لا يُذكر في أيام الذبح غيره.

وفيه: تأخير النساء عن الرجال.

وفيه: تساوي النساء والرجال في التكبير والدعاء.

وفيه: إخراج النساء يوم العيد إلى المصلى حتى الحيض منهن، ولكنهن يعتزلن المصلى.

وفيه: استحباب التكبير يوم العيد، وكذا في ليلته، في طريق المصلى.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦ / ٢٩٥).

(١٠)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت:

رأيتُ النبي ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظرُ إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكونَ أنا التي أسأم. فاقدروا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السنِّ، الحريصةِ على اللّهُو.

صحيح البخاري (٣٨ / ٧).

قال ابن هبيرة رحمه الله: في هذا الحديث جواز اللعب بالحِراب، وهي من السلاح، للتدرب والرياضة للجهاد وقتال العدو، في المسجد.

وفيه أيضاً: أن عمرَ لما سارع إلى حصبهم على المألوف من شدته، ولم يكن ذلك له؛ لأن رسول الله ﷺ مقرُّ لهم، نجاه رسول الله ﷺ بقوله: "دعهم يا عمر".

الإفصاح عن معاني الصحاح (٦ / ١٠٨).

(١١)

التزيّن للوفود

ويتزيّن المرء للضيوف، وفي لقاءات عامة أو خاصة بالناس، فإنه أبدى للجِدِّ، وأظهر للهيبة، وأدعى للقبول..

وفي حديث عبدالله مولى أسماء:

أنها رضي الله عنها أخرجت له جبّة رسول الله ﷺ، كان يلبسها للوفود، ويوم الجمعة.

الأدب المفرد (ص ١٢٧)، وحسنه له في صحيح الأدب.

الجبّة: ثوب طويل مقطوع الكم، أو واسع الكمّين، مفتوح من مقدّمه، يلبس فوق الثياب.

(١٢)

في السفر

ولأهمية شأن الجماعة في الإسلام، وضبط تصرفات المسلمين، وجمع كلمتهم، اهتمّ بشأن الإمارة، وركّز على الطاعة، ما لم تكن في معصية. وفي السفر، أمر عليه الصلاة والسلام بتعيين أمير عليهم، حتى لا يختلفوا...

فعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال:

"إذا خرج ثلاثة في سفرٍ فليؤمّروا أحدهم".

سنن أبي داود ت (٤ / ٢٤٩) واللفظ له. قال الشيخ شعيب: رجاله ثقات، وقد اختلف في وصله وإرساله.. ورواه الحاكم في المستدرک (١ / ٦١١) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ولفظه: قال عمر بن الخطاب رضي الله: إذا كان نفرٌ ثلاثة فليؤمّروا أحدهم، ذاك أميرٌ أمره رسول الله ﷺ.

قال الخطابي رحمه الله: إنما أمرَ بذلك ليكون أمرهم جميعاً، ولا يتفرق بهم الرأي، ولا يقع بينهم خلاف فيعتنوا. وفيه دليل على أن الرجلين إذا حكما رجلاً بينهما في قضية ففضى بالحق فقد نفذَ حكمه.

معالم السنن (٢/ ٢٦٠).

(١٣)

الاجتماع على الجنائز

ويجتمع المسلمون للصلاة على الأموات، وكلما كان عددهم كثيراً، كان أفضل للميت، وأجبر لخاطر أهله.. وفيه مشاركة للمسلمين في أحزان إخوانهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

"ما من رجلٍ مسلمٍ يموت، فيقومُ على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه".

صحيح مسلم (٢/ ٦٥٥).

قال ابن بطال: ولا تخلو جماعة من المسلمين لهم هذا المقدار أن يكون فيها فاضل لا تردُّ شفاعته، أو يكون اجتماع هذا العدد بالضراعة إلى الله شافعاً عنده.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٣٠٢).

مرَّ بعض العرب بجنازة يصلي عليها أمة كثيرة فقال: إنه من أهل الجنة! قيل: ولم؟ قال: وأيُّ كريم يأتيه جمعٌ يشفعون عنده في إنسان واحد فيردُّ شفاعتهم؟ لا والله لا يردُّها أبداً، فكيف أكرمُ الكرماء وأرحمُ الرحماء؟ فما دعاهم إلا ليشفعوا فيقبل.

فيض القدير (٥/ ٤٨٠).

(١٤)

التعزية

وتعزية أهل الميت جبرٌ لمصائبهم، وفيها أجر كبير للمعزي..
عن محمد بن عمرو بن حزم، عن النبي ﷺ أنه قال:
"ما من مؤمنٍ يعزي أخاه بمصيبة، إلا كساه الله سبحانه من حُلل الكرامة يومَ القيامة".

سنن ابن ماجه (٢ / ٥٣٢). وحسنه في صحيح ابن ماجه، وفي السلسلة الصحيحة (١ / ٣٧٨)، وحسنه آخرون، وضعفه غيرهم.

يعزي أخاه: يأمره بالصبر على المصيبة، بنحو: أعظم الله أجرك.
بمصيبة: فيه أن التعزية سنة، وأنها لا تختص بالموت.
من حُلل الكرامة: أي من الحُلل الدالة على الكرامة عنده، أو من حُلل أهل الكرامة، وهي حُلل نُسجت من الكرامة، وهذا مبنيٌّ على تجسيم المعاني، وهو أمرٌ لا يعلمه إلا الله تعالى.
ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٣٦٦). حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١ / ٤٨٦).

(١٥)

الزكاة

ومن العلاقات التي تربطُ الغنيَّ بالفقير في الإسلام: صرفُ الزكاة لمستحقيها من المحتاجين إليها.
وهذا يؤدي إلى المحبة والاحترام بينه، لا إلى صراعٍ وحقْدٍ وحسد.
قال رسولُ الله ﷺ لمعاذٍ حين أرسله إلى اليمن:
"فأخبرهم أن الله قد فرضَ عليهم صدقةً تؤخذُ من أغنيائهم فترُدُّ على فقرائهم".

صحيح البخاري (٢ / ١٢٩)، صحيح مسلم (١ / ٥٠)، واللفظ للأول.

قال النووي رحمه الله: فيه أن الزكاة لا تُدفع إلى كافر، ولا تُدفع أيضًا إلى غنيٍّ من نصيب الفقراء. واستدلَّ به الخطابي وسائر أصحابنا على أن الزكاة لا يجوز نقلها عن بلد المال؛ لقوله ﷺ: "فتردُّ في فقرائهم"، وهذا الاستدلال ليس بظاهر؛ لأن الضمير في "فقرائهم" محتمل لفقراء المسلمين، ولفقراء أهل تلك البلدة والناحية، وهذا الاحتمال أظهر. شرح النووي على مسلم (١/ ١٩٧).

(١٦)

الصدقة بأنواعها

ودفع الصدقات سمة في المجتمع الإسلامي، وفيه يظهر التعاون على البرِّ والإحسان بين المسلمين. وقد بيَّن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام أنها لا تقتصر على بذل المال، بل كل ما ينفع المجتمع الإسلامي...

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"كلُّ سُلَامَى من الناس عليه صدقةٌ كلَّ يومٍ تَطْلُع فيه الشمس، يَعِدِلُ بين الاثنينِ صدقة، وَيُعِينُ الرجلَ على دابَّتِهِ فيَحْمِلُ عليها، أو يَرْفَعُ عليها متاعَهُ صدقة، والكلمةُ الطيبةُ صدقة، وكلُّ خطوةٍ يخطوها إلى الصلاةِ صدقة، وَيُمِيطُ الأذى عن الطريقِ صدقة".

صحيح البخاري (٤/ ٥٦).

كل سُلَامَى: كل مفصل، وكل عظمٍ وإن صغر. والسلاميات: عظام مفاصل الكف. فعلى كل واحد منها صدقة لله من فعل الطاعة والخير كلَّ يوم، إذ كلُّ موضعٍ شعرةٍ فما فوقها من جسد الإنسان عليه فيه نعمةٌ لله، يلزمه شكره والاعتراف بها، حين خلقه صحيحًا يتصرف في منفعه وإرادته، ولم يجعل في ذلك الموضع داءً يمنعه ألمه من استعماله والانتفاع به. وإنما سميت طاعةُ الله من صلاةٍ وغيرها صدقةً لأنه كان لله أن يفترض على عباده ما شاء من الأعمال دون أجر يأجرهم عليها ولا ثوابٍ فيها، ولكنه برحمته تفضَّل علينا بالأجر والثواب

على ما فرضه، فلما كان لأفعالنا أجرٌ فكأننا نحن ابتدأنا بالعمل فاستحققنا الأجر، فشابه به الصدقة المبتدأة التي عليها الأجر لازمٌ في فضل الله.
وفيه أن العدل بين الناس من الأعمال الزاكية عند الله، المرجوُّ قبولها.
شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩٨ / ٨).
قال العلماء: المرادُ صدقةٌ نَدبٌ وترغيبٌ، لا إيجابٌ وإلزام.
يعدل بين الاثنين: يصلح بينهما بالعدل.
شرح النووي على مسلم (٩٥ / ٧).
قال القرطبي: ومقصود هذه الأحاديث الترغيبُ في أعمال البرِّ والخير بطريق إظهار وجه الاستحقاق واللفظ.
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٥ / ٣).

(١٧)

الحج

وفي أيام الحج يجتمع عدد كبير من المسلمين في بقعة صغيرة، جاؤوا من أطراف الأرض، ويكون فيها تقارب وازدحام بين الحجاج، في الحرم، وفي عرفة، وغيرها من المشاعر. وعلى الحاج أن يتحمل الصعوبات، ويتجاوز عن الهنات مع إخوانه الحجاج، ويتجمل بالحلم، ويصبر، حتى ينتهي حجه بسلام..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:
"من حجَّ هذا البيت، فلم يرفُث، ولم يفسُق، رجَعَ كيوم ولدته أمُّه".

صحيح البخاري (١١ / ٣)، صحيح مسلم (٩٨٣ / ٢)، واللفظ للأول.

والرفث: اسم للفحش من القول، وقيل: هو الجماع، وهذا قول الجمهور.
والفسوق: المعصية.

شرح النووي على مسلم (١١٩ / ٩).

(١٨)

التواصل والإحسان غيابياً

ويكون اتصال المسلم بالمسلم حتى في غيبته، ويأتي هذا من المحبة، والإخلاص، والوفاء. من ذلك ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قوله: "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل".

صحيح مسلم (٤ / ٢٠٩٤).

بظهر الغيب: معناه في غيبة المدعو له، وفي سرّه؛ لأنه أبلغ في الإخلاص. بمثل: أي عديله.

قال الإمام النووي: وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب، ويحصل له مثلها.

شرح النووي على مسلم (١٧ / ٤٩) مختصراً.

(١٩)

عند الخوف من جماعة

وقد تخاف من جماعة يأتونك، أو تذهب إليهم، لا تعرفهم، أو علاقتك بهم غير طيبة. فتأخذ حذرک، وتدعو، قبل اللقاء...

عن أبي بردة بن عبد الله، أن أباه حدّثه، أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: "اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم".

سنن أبي داود (٢ / ٦٤٠)، وصححه الشيخ شعيب.

نجعلك في نحورهم: نجعل سهام أوليائك، أو سيوف أنصار ذمتك في نحور أعدائك.
نعوذ: نلتجئ إليك من كل ما يُحذّر من شرورهم.
والمراد به طلب إهلاكهم؛ لأن المنحر هو المقتل وموضع الهلاك غالبًا.
ينظر: شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٧ / ٣٦٧).

(٢٠)

المجالس.. ودعاء جامع

ومجالس المسلمين تعقد لأهداف جليلة، من علم وأدب، وتوعية، وصلاح، وتعاون على خير، فهي موجّهة بالدين.. وينبغي أن يكون ختامها مسكًا، فيدعو كلُّ بكفارة المجلس، ليغفر الله لهم ما بدر منهم من هفوات وزلات..

ومن جميل الدعاء الذي كان يدعو به رسول الله ﷺ هذا الدعاء، وفيه تنبيه وتذكير ودعاء للمسلم...

عن ابن عمر قال: قلما كان رسولُ الله ﷺ يقوم من مجلسٍ حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه:

"اللهم اقسِمْ لنا من خشيتِكَ ما يَحُولُ بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتِكَ ما تَبَلِّغُنَا به جَنَّتِكَ، ومن اليقينِ ما تَهَوَّنُ به علينا مصيباتِ الدنيا، ومَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا ما أَحْيَيْتَنَا، واجعلهُ الوارثَ مِنَّا، واجعلْ ثأرَنَا على مَنْ ظَلَمْنَا، وانصرْنَا على مَنْ عادانا، ولا تجعلْ مصيبتَنَا في ديننا، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ هَمِّنا ولا مَبْلَغَ علمِنَا، ولا تسلِّطْ علينا من لا يرحمُنَا".

سنن الترمذي (٥ / ٥٢٨)، سنن النسائي الكبرى (٩ / ١٥٤)، وحسنه في صحيح الجامع (١٢٦٨).

اقسِمْ لنا من خشيتِكَ: اجعل لنا قسَمًا ونصييًّا.

ومن اليقين ما تهون علينا مصيبات الدنيا: ارزقنا يقيناً بك، وبأن لا مردّ لقضائك وقدرك، وأن لا يصيبنا إلا ما كتبته علينا، وأن ما قدرته لا يخلو عن حكمة، ومصلحة، واستجلاب مثوبة تهون به مصيبات الدنيا.

واجعله الوارث منا: اجعل تمتعنا بها باقياً عنا، موروثاً لمن بعدنا، أو محفوظاً لنا إلى يوم الحاجة. واجعل ثأرنا على من ظلمنا: أي مقصوراً عليه، ولا تجعلنا ممن تعدى في طلب ثأره فأخذ به غير الجاني كما كان معهوداً في الجاهلية، أو اجعل إدراك ثأرنا على من ظلمنا فندرك منه ثأرنا. ولا تجعل مصيبتنا في ديننا: لا تصيبنا بما ينقص ديننا، من أكل الحرام أو اعتقاد سوء، أو فترة في العبادة.

ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا: فيه أنّ قليلاً من الهمّ مما لا بدّ منه من أمر المعاش مرخص، بل مستحب!

ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا: أي لا تجعلنا مغلوبين للظلمة، والكفار، أو لا تجعل الظالمين علينا حاكمين، فإن الظالم لا يرحم الرعية. قوت المغنذي على جامع الترمذي (٢/ ٨٦١) باختصار.

(٢١)

العلاقات الزوجية

وينبغي أن تكون العلاقة بين الرجل وزوجته أو زوجاته قائمة على العدل، وحسن الخلق، والعشرة الطيبة...

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم".

صحيح ابن حبان (٩/ ٤٨٣) وحسن الشيخ شعيب إسناده، مسند أبي يعلى (١٠/ ٣٣٣) وحسن محققه حسين أسد إسناده كذلك.

قال الحلبي: دَلَّ على أن حسن الخُلُق إيمان، وعدمه نقصانُ إيمان، وأن المؤمنين يتفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض. ومن ثم كان المصطفى ﷺ أحسن الناس خُلُقاً؛ لكونه أكملهم إيماناً.

فيض القدير للمناوي (٢ / ٩٧).

وخياركم خياركم لنسائهم: في ذلك تنبيه على أعلى الناس رتبة في الخير، وأحفهم بالاتصاف به هو من كان خير الناس لأهله، فإن الأهل هم الأحقاء بالبشر وحسن الخلق والإحسان وجلب النفع ودفع الضر، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس، وإن كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر، وكثيراً ما يقع الناس في هذه الورطة، فترى الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقاً وأشجعهم نفساً وأقلهم خيراً، وإذا لقي غير الأهل من الأجانب لانت عريكته وانبسطت أخلاقه وجادت نفسه وكثر خيره، ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق، زائع عن سواء الطريق، نسأل الله السلامة.

نيل الأوطار (٦ / ٢٤٥).

(٢٢)

وصية جامعة

وفي ضبطٍ للعلاقة الزوجية، وبيان للحقوق، جاء في وصية جامعة:
عن عمرو بن الأحوص، أنه شهد حَجَّةَ الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ، ثم قال:

"استوصوا بالنساءِ خيراً، فإنهنَّ عندكم عَوَان، ليس تملكون منهنَّ شيئاً غيرَ ذلك، إلا أن يأتين بفاحشةٍ مبينة، فإن فعلنَ فاهجروهنَّ في المضاجع، واضربوهنَّ ضرباً غيرَ مبرِّح، فإن أظعنكم فلا تَبْعُوا عليهنَّ سبيلاً، إن لكم من نساءكم حقاً، ولنساءكم عليكم حقاً، فأما حقُّكم على نساءكم: فلا يوطئنَ فُرُشكم من تَكْرهون، ولا يَأذَنَنَّ في بيوتكم لمن تَكْرهون، ألا وحقُّهنَّ عليكم أن تُحسِنوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ".

سنن ابن ماجه (٥٧ / ٣) وحسن الشيخ شعيب إسناده، وذكر أنه صحيح لغيره. ورواه آخرون، وقد حسنه في صحيح الجامع (٧٨٨٠).

استوصوا بالنساء خيراً: اقبلوا وصيتي فيهن، واعملوا بها، فاصبروا عليهن، وارفقوا بهن، وأحسنوا إليهن.
عنوان: أسيرات.

والضرب المبرح هو الشديد الشاق، وغير المبرح هو الملائم، وهو المتوسط.
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤ / ٢٢٢)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١ / ٥٦٩).

(٢٣)

وفي التحذير من المعاملة غير العادلة، ورد:
عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:
"من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل".

سنن أبي داود ت (٣ / ٤٦٩) وصححه الشيخ شعيب.

مال إلى إحداهما: أي فلم يعدل بينهما، بل مال إلى إحداهما دون الأخرى.
وشقه: أي أحد جنبه وطره.
مائل: مفلوج.

والحديث دليل على أنه يجب على الزوج التسوية بين الزوجات، ويحرم عليه الميل إلى إحداهن، وقد قال تعالى: { لَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ } [سورة النساء: ١٢٩]. والمراد: الميل في القسّم والإنفاق، لا في المحبة، لأنها مما لا يملكه العبد.
عون المعبود (٦ / ١٢١).

(٢٤)

الوالدان

والعلاقة مع الوالدين هي أجلُّ العلاقات، وأهمها، فينبغي المحافظة عليها، وخاصة الوالدة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال:

يا رسولَ الله، من أحقُّ الناسِ بحسنِ صحابتي؟

قال: "أُمُّكَ".

قال: ثم من؟

قال: "ثم أُمُّكَ".

قال: ثم من؟

قال: "ثم أُمُّكَ".

قال: ثم من؟

قال: "ثم أبوك".

صحيح البخاري (٢ / ٨).

قال الإمام النووي رحمه الله: فيه الحثُّ على برِّ الأقارب، وأنَّ الأُمَّ أَحَقُّهم بذلك، ثم بعدها

الأب، ثم الأقرب فالأقرب. قال العلماء: وسبب تقديم الأُمَّ كثرةُ تعبيرها عليه، وشفقتها وخدمتها،

ومعانة المشاقِّ في حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته وتمريضه، وغير ذلك.

شرح النووي على مسلم (١٠٢ / ١٦).

(٢٥)

وحتى لو كان الوالدان كافرين، فإنه يُحسَّن إليهما، ولا تُتجاوزُ طاعتُهما إلى كفر أو معصية.

عن أسماء بنتِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهما، قالت:
قدمتُ عليَّ أمِّي وهي مشرِكةٌ في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فاستفتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ، قلت: وهي
راغبة، أفأصلُّ أمي؟
قال: "نعم صلي أمك".

صحيح البخاري (١٦٤ / ٣)

وهي راغبة: في شيءٍ تأخذه، أو عن ديني، أو في القرب مني، ومجاورتي، والتودد إليّ؛ لأنها
ابتدأت أسماء بالهدية.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣٦٣ / ٤).
وفيه جواز صلة المشرك ذي القرابة والحرمة والذمام.
إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٢٣ / ٣).

(٢٦)

وتتوسَّع دائرة العلاقات مع الوالدين إلى أصدقائهما، فيوصلون، ويُحسِّنُ إليهما كذلك حتى بعد
الموت، وهكذا تمتدُّ الصلاتُ الاجتماعية القيِّمة في المجتمع الإسلامي وتقوى، بما هو أفضل
وأقوم، وتتقارب وتتماسك بذلك.

عن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:
"إِنَّ مِنْ أَبْرِّ الْبِرِّ صَلَاةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ".

صحيح مسلم (١٩٧٩ / ٤).

قال الإمام النووي رحمه الله:

وفي هذا فضلُ صلةِ أصدقاء الأب، والإحسانِ إليهم وإكرامهم. وهو متضمنٌ لبرِّ الأب وإكرامه لكونه بسببه. وتلتحق به أصدقاءُ الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة، وقد سبقت الأحاديث في إكرامه ﷺ خلائل خديجة رضي الله عنها. شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٠٩).

قال الحافظ العراقي رحمه الله: جعله أبرَّ البرِّ، أو من أبرّه؛ لأن الوفاء بحقوق الوالدين والأصحاب بعد موتهم أبلغ؛ لأن الحيَّ يُجامل، والميت لا يستحي منه ولا يجامل إلا بحسن العهد. فيض القدير (٢ / ٤٠٥).

(٢٧)

صلة الرحم

أما الحفاظ على العلاقات بين الأهل من الرحم، فهو مطلوب على الدوام، لا يجوز تركه أو قطعه، وهم ما يثبت هذه العلاقة الحميمة بينهم. ومن الأحاديث الشريفة التي ترغّب في ذلك: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "تعلّموا من أنسابكم ما تصلّون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبّة في أهله، مثراً في ماله، منسأة في أثره".

مسند أحمد (١٤ / ٤٥٦)، وحسن إسناده الشيخ شعيب، وصححه في المستدرک (٤ / ١٧٨) ووافقه الذهبي.

محبة في أهله: سبب في ودّهم.

مثراً في المال: سببٌ لكثرتة.

منسأة في أثره: زيادة في عمره، بالبركة فيه، وعمارة وقت صاحبه بما ينفع.

(٢٨)

وفي ترهيب وتحذير شديد من قطع الرحم:
عن جبير بن مطعم، أن رسول الله ﷺ قال:
"لا يدخل الجنة قاطع رحم".

رواه الشيخان: البخاري (٥ / ٨)، مسلم (١٩٨١ / ٤)، واللفظ له.

لا يدخل الجنة قاطع رحم: إن قَطَعَ الرَّحِمَ عن اعتقاد جواز قطعها؛ لأنه كافر باستحلاله الحرام، وإن لم يستحل قطع الرحم فمعنى هذا الحديث: أنه لا يدخل الجنة حتى يطهر من ذنب قطع الرحم، إما بأن يعفو الله عنه، أو يعذبه بقدر ذنبه.
المفاتيح في شرح المصابيح (٢٠٧ / ٥)

(٢٩)

إكرام الضيوف والجيران

وإكرام الضيوف واحترام الجيران مرغوب عند المسلمين، وهم يفعلون ذلك طلباً للأجر، وحفاظاً على هذا الأدب الرفيع، والخلق الإنساني الكريم، وهو ما يزيد من توسيع دائرة العلاقات الطيبة في المجتمع الإسلامي المتراحم.

وقد أوصى بذلك نبينا محمد ﷺ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه".

جزء من حديث رواه الشيخان وغيرهما، صحيح البخاري (١١ / ٨)، صحيح مسلم (٦٨ / ١). واللفظ للأول.

أورد الحافظ ابن حجر حديثاً فيه بيان صنوف المكارم التي يقدمها الجار لجاره، وفيه ذكر حقوقه، وقد خرّجه عدة رواة، ولكنه لم يصح، وقال فيه الحافظ: أسانيدهم واهية لكن اختلاف مخارجها يشعر بأن للحديث أصلاً.

ونحن نورده لأهميته، فما ورد فيه فضائل وآداب إسلامية عالية: قالوا: يا رسول الله، ما حقُّ الجار على الجار؟

قال: "إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنيئته، وإن أصابته مصيبة عزّيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرّاً، ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده". فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٤٦).

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه: أي من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام ضيفه، سواء كان في البدو أو الحضرة.

شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٩ / ٤٤٠).

والإكرام يكون للغني والفقير، بالإتحاف بما تيسر، وإكرام نُزله، ورفع منزلته. التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٤٣٩).

(٣٠)

بركة الاجتماع

وفي اجتماع المسلمين خير، من ذلك اجتماعهم على الطعام، وعدم اكتفائهم بالأكل منفردين، فيلقى الله فيه البركة والنماء والاكتفاء؛ لأن فيه ذكراً لله، وبذلاً للمال.

عن وحشي بن حرب قال:

قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع.

قال: "تجتمعون على طعامكم أو تتفرقون؟"

قالوا: نتفرق.

قال: "اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله، يبارك لكم".

صحيح ابن حبان (٢٧ / ١٢) واللفظ له، سنن ابن ماجه (٤ / ٤١٨)، وضعف الشيخ شعيب إسنادهما، وأثهما حسنان بالشواهد. سنن أبي داود (٥ / ٥٨٨) ... قال: حسن لغيره. وكذا قال صاحب السلسلة الصحيحة (٢ / ٢٦٨): حسن لغيره.

قال السندي رحمه الله: فبالاجتماع تنزل البركات في الأقوات، وبذكر اسم الله تعالى يمتنع الشيطان عن الوصول إلى الطعام.

حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢ / ٣٠٨).

وقال ابن رسلان، مبيّنًا ومنبّهًا: فيه الحث على الاجتهاد على تكثير الأيدي على أكل الطعام، ولو من أهله وولده وخادمه.

قال: والظاهر أن المقصود الأعظم ليس هو كثرة وضع الأيدي فقط، بل كثرة الأيدي سببٌ لكثرة ذكر اسم الله تعالى، فإذا سمّي الله كلُّ واحدٍ من الجماعة على الطعام حصلت بركة ذكر اسم الله، حتى لو اجتمع جماعة للأكل ولم يذكروا اسم الله وخالفوا سنة الأكل فأئى بركة تحصل باجتماع تاركي السنة!؟

شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٥ / ٣٤٣).

(٣١)

زيارة المرضى

وفي زيارة المريض ثواب كبير، فإنها دليل على الاهتمام بالآخرين، وشعور بالمحبة، وتأکید على الأخوة. ويأنس بها المريض، وتتحسن نفسه.

عن ثوبان، عن النبي ﷺ، قال:

"إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ".

ومن طريق أخرى - في المصدر نفسه - أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن "حُرْفَةِ الْجَنَّةِ" فقال: "جَنَاهَا".

صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٩).

فالحُرْفَةُ: الثمرة إذا نضجت. شبه ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه الذي يجتني الثمر. وقيل: المراد بها هنا الطريق، والمعنى: أن العائد يمشي في طريق تؤديه إلى الجنة. والتفسير الأول أولى.

فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١١٣).

(٣٢)

وزيارة المريض منتشرة بين الأصدقاء والمسؤولين خاصة، ولكن زيارة المسلم لأخيه المسلم تتميز بالمواساة الأخوية الدينية، والدعاء له، وبث روح الأمل في نفسه، فيتأثر المريض، ويدرك الأجر الذي يكتسبه بصره على مرضه، ولا يتضجر، بل يرى رحمة الله قريبة منه. عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا عادَ مريضًا يقول: "أذهبِ البأسَ ربَّ الناس، اشفه أنت الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادرُ سقمًا".

صحيح البخاري (٧/ ١٣٤)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٢٢)، واللفظ له.

لا يغادرُ سقمًا: لا يترك مرضًا.

(٣٣)

الزيارات

الزيارة مستحبة بين المسلمين، وخاصة الأهل والجيران، ولكنها منضبطة بأداب وأخلاق ينبغي أن تراعى، حتى تتحقق الألفة والمحبة، وينتفي الضيق والحرج. ومن هذه الآداب: الاستئذان.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إذا استأذن أحدكم ثلاثاً، فلم يؤذن له، فليرجع".

صحيح البخاري (٥٤ / ٨)، صحيح مسلم (١٦٩٤ / ٣).

والاستئذان يكون بقوله: "السلام عليكم، أَدْخَلَ؟" كما صحَّ في حديثٍ آخر. وفيه نصٌّ على أن المستأذن لا يزيد على ثلاث مرات، بل بعد الثلاث يرجع؛ لأنه ظهر له أن ربَّ المنزل لا يريد الإذن، أو لعله منعه من الجواب عذر، من نوم أو صلاة ونحوهما، فإن كان في صلاة وسمع المستأذن لا يقطعها.

شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٤٨٠ / ١٩).

وقال الله تعالى: { فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ } [سورة النور: ٢٨].

أي: فإن لم تجدوا في البيوت أحداً يَأْذَنُ لكم بالدخول، فاصبروا ولا تدخلوها حتى يُسَمَّحَ لكم به، لأنَّ فيه تصرفاً في مُلْكِ الغَيْرِ بغيرِ رضاه، والدخولُ بغيرِ إِذْنٍ سببٌ للقييل والقال. وإذا طُلبَ منكم الرجوعُ فارْجِعُوا ولا تُلْحُوا في الدخول، فإنه أظهُرُ لقلوبكم، وأنفعُ لدينكم ودنياكم. الواضح في التفسير / محمد خير يوسف / ٢ / ٩٤٦.

(٣٤)

المعاملات

وبما أن المسلمين إخوة، وبينهم التراحم والتوَادُد، فإن معاملاتهم المالية بين بعضهم البعض أيضاً ينبغي أن تتصف بالصدق والمرحمة، لا بالغشِّ والخديعة. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسولَ الله ﷺ قال: "رحمَ الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى".

صحيح البخاري (٥٧ / ٣).

إذا اقتضى: أي إذا طلب دينا له على غريم يكون طلبه بالرفق، ولا يطلب بالعنف.
المفاتيح في شرح المصايح (٣/ ٤٠٢).

فيه: الحضُّ على السماحة وحسنِ المعاملة، واستعمالِ معالي الأخلاق ومكارمها، وتركِ المشاحَّة، والرَّقَّة في البيع، وذلك سببٌ إلى وجود البركة فيه؛ لأن النبيَّ عليه الصلاة والسلام لا يحضُّ أمته إلا على ما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة، فأما فضلُ ذلك في الآخرة، فقد دعا ﷺ بالرحمة لمن فعل ذلك، فمن أحبَّ أن تناله بركة دعوة النبي عليه الصلاة والسلام فليقتد بهذا الحديث ويعمل به.

وفي قوله ﷺ "إذا اقتضى" حضُّ على ترك التضييق على الناس عند طلب الحقوق، وأخذ العفو منهم.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٢١٠).

(٣٥)

ولا يكذب المسلم في بيعه، ولا يتعامل بالربا، ولا يغشّ، ولا يحتكر، حتى تبقى العلاقات الاجتماعية سليمة بين المسلمين، خالية من الكدر، كالحقد، والبغض، والحسد، والشتم، وسوء الظن، والقطيعة..

من ذلك ما ورد عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
"البَّيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقتُ بركةُ بيعهما".

صحيح البخاري (٣/ ٥٩).

بيِّنا: أي بين كل واحد لصاحبه ما يحتاج إلى بيانه من عيب ونحوه في السلعة والثمن، وصدق في ذلك، وفي الإخبار بالثمن وما يتعلق بالعوضين.

ومعنى مُحقتُ بركة بيعهما: أي ذهبتُ بركته، وهي زيادته ونماؤه.

شرح النووي على مسلم (١٠/ ١٧٦).

(٣٦)

والمعاملة بين العامل وصاحب العمل هي العدل والإحسان والوفاء، والبعد عن الظلم:
عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:
"أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ".

سنن ابن ماجه (٣ / ٥١١) وضعف الشيخ شعيب إسناده، لكن ذكر أنه حسن لغيره، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٥)، كما صححه لابن ماجه من رواية ابن عمر. صحيح سنن ابن ماجه (١٩٩٥)، وذكر أنه صحيح لغيره في صحيح الترغيب (١٨٧٨) من رواية أبي هريرة.

يعني لا يجوز تأخير أجر الأجير، ولا تأخير حقّ ذي حقّ إذا بلغ وقت أخذ حقه.
لأن أجره عمالةً بدنه، فإذا عجل منفعته استحقّ التعجيل. والأمر بإعطائه قبل جفاف عرقه
عبارة عن الحثّ على دفعها له عقب فراغه وإن لم يعرق.
المفاتيح في شرح المصايح (٣ / ٥٠٢)، التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ١٧١).

(٣٧)

ولكنّ أمر التجارة لا يخلو من تجاوزات، وهنا وصية من رسول الله ﷺ:
عن قيس بن أبي غرزة قال: كنا نبتاع الأوساق بالمدينة، وكنا نسّمى السماسرة.
قال: فأتانا رسول الله ﷺ فسّمانا باسم هو أحسن مما كنّا نسّمى به أنفسنا، فقال:
"يا معشر التجّار، إن هذا البيع يحضره اللغو والحلف، فشوبوه بالصدقة".

مسند أحمد (٢٦ / ٥٨)، سنن أبي داود (٥ / ٢١٥). وصحح إسنادهما الشيخ شعيب،

الأوساق جمع وسق، وهو الحمل.

يَحْضِرُهُ اللُّغُوُّ وَالْحَلْفُ: يعني البائع قد يتكلم بكذب، وقد يحلف على ذلك.
فشُوبوه: اخلطوا ذلك اللغو والحلف بالصدقة، فإن "الصدقة تطفئ غضب الرب"، و{إِنَّ
الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [سورة هو: ١١٤].
المفاتيح في شرح المصايح (٣/ ٤٠٥)

(٣٨)

ومن المعاملة الأخوية الطيبة: أن يُسامَحَ المعسر، أو يُخَفَّفَ عنه الدين، أو يمدَّ في أجله:
عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:
"من سرَّهُ أن يُنَجِّيهُ اللهُ من كربِ يومِ القيامةِ، فليَنفَسْ عن مُعسرٍ، أو يَضَعْ عنه".
صحيح مسلم (٣/ ١١٩٦).

فليَنفَسْ عن معسر: بإمهال، أو أداء، أو إبراء، أو وساطة، أو تأخيرِ مطالبة، ونحوها.
وفيه من بيان عظمِ فضلِ التيسيرِ والترغيبِ فيه والحثِّ عليه ما لا يخفى.
فيض القدير (٦/ ٥٠).

(٣٩)

وكم يفرح المؤمن ويرجو رحمة ربه عندما يقرأ هذا الحديث الشريف:
عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
"كَانَ تَاجِرٌ يَدَايْنُ النَّاسِ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ
عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ".

صحيح البخاري (٣/ ٥٨).

قال المهلب: فيه أن الله يغفر الذنوب بأقل حسنة توجد للعبد، وذلك - والله أعلم - إذا خلصت النية فيها لله تعالى، وأن يريد بها وجهه، وابتغاء مرضاته، فهو أكرم الأكرمين. ولا يجوز أن يخيّب عبده من رحمته وقد قال في التنزيل: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [سورة الحديد: ١١].
شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٢١٢).

(٤٠)

النصرة

ومن العلاقات التي تجمع بين المسلمين: نصره بعضهم بعضاً، ولها موازين محكومة بالشرع، كما في الحديث الشريف:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً".

فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟

قال: "تحجزه، أو تمنعه، من الظلم، فإن ذلك نصره".

صحيح البخاري (٩/ ٢٢).

فإن ذلك نصره: أي منعك إياه من الظلم نصرتك إياه على شيطانه الذي يغويه وعلى نفسه التي تأمره بالسوء وتطغيه.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤/ ٢٥٥).

(٤١)

أهل الذمة

وتعامل المسلمين مع أهل الذمة يكون باحترام حقوقهم وعدم التعدي عليها، بل يعاملون معاملة طيبة، من باب الأدب والخلق، وترغيباً لهم في الإسلام. وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم خيراً عندما قال: "ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيبِ نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة".

سنن أبي داود (٤ / ٦٥٨) وحسن الشيخ شعيب إسناده، وصححه في صحيح الجامع (٢٦٥٥).

المعاهد من كان بينك وبينه عهد، وأكثر ما يستعمل في الحديث على أهل الذمة، وقد يطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب مدة ما. انتقصه: نقص شيئاً من حقه.

فأنا حجيجه يوم القيامة: أي محاججه ومغالبه بإقامة الحجة عليه. وفيه الوعيد الشديد والزجر الأكيد عن ظلم الذمي والمعاهد، فإذا كان هذا الوعيد في ظلم الكافر بالله، فما ظنك بظلم المؤمن الموحّد، ما يكون حال ظالمه يوم القيامة؟ شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٣ / ١٥٩) باختصار.

(٤٢)

فينبغي أن تكون علاقة المسلم مع الآخرين من غير دينه، في مجتمعه، مبنية على احترام الحقوق... وقد حذر الإسلام من المساس بدمائهم تحذيراً شديداً. فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "من قتل معاهداً لم يرخ رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً".

صحيح البخاري (٩٩ / ٤).

لم يَرِح: لم يشمَّ ريحها، وهو كناية عن عدم الدخول فيها ابتداءً، بمعنى أنه لا يستحق ذلك.
حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١٥٢ / ٢).
وذكر ابن بطّال أن معناه على الوعيد، وليس على الحتم والإلزام.
ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٦٣ / ٨).



المراجع^(١)

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان/ ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي؛ حققه وخرّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط. - ط ٢. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٣-١٤١٤ هـ.
- الأدب المفرد/ البخاري؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. - ط ٣. - بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ هـ.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري/ القسطلاني. - القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٢٣ هـ.
- الإفصاح عن معاني الصحاح/ يحيى بن هبيرة الشيباني؛ تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد. - الرياض: دار الوطن، ١٤١٧ هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم/ القاضي عياض. - تحقيق يحيى إسماعيل. - المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٩ هـ.
- تحفة الأحمدي/ المباركفوري. - بيروت: دار الكتب العلمية.
- التيسير بشرح الجامع الصغير/ المناوي. - ط ٣. - الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، ١٤٠٨ هـ.
- حاشية السندي على سنن ابن ماجه: كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه/ السندي. - ط ٢. - بيروت: دار الجيل.
- السلسلة الصحيحة/ محمد ناصر الدين الألباني. - بيروت: المكتب الإسلامي.
- سنن ابن ماجه/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. - القاهرة: دار الحديث، د.ت.
- سنن أبي داود/ تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي. - دمشق: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/ تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة. - القاهرة: دار الحديث، د.ت.
- السنن الكبرى للنسائي/ تحقيق حسن عبد المنعم شلي. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.
- شرح سنن أبي داود/ ابن رسلان الرملي. - تحقيق باحثين من دار الفلاح. - الفيوم: دار الفلاح، ١٤٣٧ هـ.
- شرح صحيح البخاري/ لابن بطلال؛ تحقيق ياسر إبراهيم. - الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م.
- شرح النووي على صحيح مسلم. - ط ٢. - بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٢ هـ.
- صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.
- صحيح الأدب المفرد/ محمد ناصر الدين الألباني. - ط ٤. - الطائف: دار الصديق، ١٤١٨ هـ.
- صحيح البخاري/ تحقيق محمد زهير الناصر. - دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب/ محمد ناصر الدين الألباني. - الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١ هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته/ محمد ناصر الدين الألباني. - ط ٣. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠ هـ.

(١) المراجع من المكتبة الشاملة.

- صحيح مسلم/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. - بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ بدر الدين العيني. - بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود/ محمد أشرف التهانوي. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري/ ابن حجر العسقلاني. - بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير/ المناوي. - القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦ هـ.
- قوت المغتذي على جامع الترمذي/ السيوطي؛ تحقيق ناصر الغربي. - جامعة أم القرى، ١٤٢٤ هـ، دكتوراه المستدرک على الصحيحين/ الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي/ تحقيق حسين سليم أسد. - دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤ هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل/ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين. - دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.
- معالم السنن: وهو شرح سنن أبي داود/ الخطابي. - حلب: المطبعة العلمية، ١٣٥١ هـ.
- المفاتيح في شرح المصابيح/ المظهري؛ تحقيق لجنة مختصة من المحققين. - الكويت: وزارة الأوقاف، ١٤٣٣ هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم/ لأبي العباس القرطبي؛ تحقيق محيي الدين مستو وآخرين. - دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٧ هـ.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ﷺ/ محمد بن علي الشوكاني؛ تحقيق عماد الدين الصبابطي. - القاهرة: دار الحديث، ١٤١٣ هـ.
- الواضح في التفسير/ محمد خير رمضان يوسف. - القاهرة: دار ابن الجوزي، ١٤٣٤ هـ.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣.....	مقدمة
٤.....	مخالطة الناس
٥.....	المسؤولية... ..
٦.....	المجتمع الإسلامي
٧.....	الأصدقاء
٨.....	صحابه النبي ﷺ
٩.....	المساجد وصلاة الجماعة
١٠.....	صلاة الجمعة
١٠.....	يوم العيد
١٢.....	التزين للوفود
١٢.....	في السفر
١٣.....	الاجتماع على الجنابة
١٤.....	التعزية
١٤.....	الزكاة
١٥.....	الصدقة بأنواعها
١٦.....	الحج
١٧.....	التواصل والإحسان غيائياً
١٧.....	عند الخوف من جماعة

١٨.....	المجالس.. ودعاء جامع
١٩.....	العلاقات الزوجية
٢٠.....	وصية جامعة
٢٢.....	الوالدان
٢٤.....	صلة الرحم
٢٥.....	إكرام الضيوف والجيران
٢٦.....	بركة الاجتماع
٢٧.....	زيارة المرضى
٢٨.....	الزيارات
٢٩.....	المعاملات
٣٣.....	النصرة
٣٤.....	أهل الذمة
٣٦.....	الفهرس